كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي (*)

- ٤ -

< الفصل الثالث >

القول في القوى الحسّاسة

كل جسم فإنه على ما تبين (١) في غير هذا الموضع مؤلف من صورة ومادة ، وكلاهما غير جسم (٢) ، والجسم هو موجود بهما (٣) . وليس المادة من جهة ما هي مادة ذات صورة بالذات (٤) ، لكنها قابلة للصورة . وليست الصورة في الجسم منحازة توجد بالفعل عن المادة ، ولا أيضاً المادة فيه منحازة بالفعل عن الصورة (٥) . لكن كل واحد منهما في الجسم المؤتلف منهما منحاز عن الآخر بالقوة ، وهذا بيّن في الأجسام الكاينة الفاسدة .

(*) انظر القسم الأول والقسم الثاني والقسم الثالث من هذا المقال في الجزء الأول والجزء الثاني والجزء الثالث من هذا المجلد الثالث والثلاثين .

(١) راجع النص ، الصفحة الأولى .

(٢) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ٨ الف : « وكل واحد منهما (أي المادة والصورة) طبيعة لكن الأخلق ... أن تكون الصورة طبيعة من المادة .

(٣) ابن باجة ورقة ٨ الف : « ووجوده (اي الجسم الطبيعي) يتم بوجودِ المادة والصورة » ؛ ٨ ب : فالصورة والمادة سببان لكل جسم طبيعي .

(٤) ابن باجّة ورقة ٧ الف : « فانا متى وضعنا المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة الى مادة وصورة ويمرّ ذلك الى غير نهاية . فتكون في هذا الزنجار مواد لا نهاية لها ، وهذا أيضاً شنيع بل محال . فستنتهي ضرورة الى مادة غير ذات صورة » . ايضاً زيلر (Zeller) : Aristotle. I. p. 347 .

(٥) ابن باجة : ورقة ٧ الف : « وظاهر انها (= المادة) لا تفارق الصورة وذلك انها ان فارقت الصور لم تكن موجودة أصلًا . فإن كانت موجودة لزم أن يكون شيئاً ما . وعاد الأمر الى أن تكون ذات مادة وليست أولى » .
راجع زيلر : Aristotle I. 349 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وامّا الاجرام المستديرة ، فان الجسم والمادة والصورة يقال عليها وعلى الاجرام الكائنة والفاسدة بالاشتراك [١] ، وقد لخص أمرها في غير هذا الموضع . ومادة ما آلية [٢] قد تنحاز عن صورة وذلك يظهر عند الفساد [٣] ، وقد لخّص ذلك في الأولى من السماع ، فبيّن من هذا أن المشار اليه غير متميز [٤] ولا متغاير [٥] بالفعل بوجه من وجوه التغاير . وانما يتغاير عند تحرك المشار اليه في كونه وفساده .

والمادة ليست توجد منفردة عن الصورة اصلا ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة اخرى [٦] ، ويظهر فيها عدم الصورة ، فقد يجب ضرورة من هذا أن تكون الصورة منحازة بنفسها أيضاً عن (ورقة ١٤٦ ب) تلك إما مقترنة بمادة أخرى أو منفردة بنفسها ، والاّ لم يمكن أن يكون أحدهما غير الآخر بوجه ، وكان التغاير أمراً باطلاً ، ولزم من ذلك محالات أخر : منها أن يبطل الكون والفساد ، وبالجملة الحركة [٧] ، ويبطل وجود المحرك الذي من نوع المتحرك .

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ص ٧١ .

(٢) واستعمل ابن رشد « آلة آلية » في معنى « آلة جسمانية » . انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٧٤ . ويقول في تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدراباد ص ٥٤ ، « وكذلك الأمر في المادة فان التغير إنما يلحقها من حيث هي جزء متغير وهو المشار اليه ، فأما بما هي مادة فلا » .

(٣) قارن ابن باجة ورقة ٨ ب : « كالصناعة فانه لا يمكن ان توجد الصورة الصناعية في المادة القابلة لها حتى تكون هي قبل موجودة ونجد ذلك في كثير من الأمور الطبيعية فان الدم لا يكون عنه جنين وتحصل فيه صورة الانسان حتى يقارنه المني » . ايضاً أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 10, IV. 2. 209 b 10 وقال فلوطين (Plotinus) : Ennead (ترجمة Mackenna) الجزء الثاني ص 182
(... Where there is decay there is a Distinction between Matter and Form.)

(٤) المخطوطة : متميزين .

(٥) المخطوطة : متغايرين .

(٦) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : وهي في ذاتها غير مصورة لكنها كما النح . أيضاً ارسطو : Phys. IV. 2. 209 b 9 : III. 6. 207 a 25; I. 7. 190 b 25

(٧) ابن باجة ورقة ١٢ الف : « وأيضاً فلا تكون حركة إذ لا يكون فوق ولا أسفل » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأيضاً فكما توجد مادة الماء ـ اذا فسد فصار بخارا ـ مقترنة بصورة البخار ، لا [١] على [٢] أن تحصل صورة البخار صورة لها تخصها بل هي أبداً مقترنة بها ، فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على أنها هيولى [٣] لها يتصور بها كما تصورت المادة بها اذ كانت ذلك الجسم [٤] ، بل على انها ، كما كانت بالطبع ، موجودة في موضوع ، ولا قوام لها بنفسها ، لأنها صورة هيولانية او [٥] كانت لها تلك على وجه مناسب لوجود المادة ذات صورة . فان المادة لما تصورت بصورة صارت موضوعاً لها وهي مادة غير مصورة في وجودها . فلذلك تكون فيها الصور المتقابلة بالقوة . فتكون تلك القوة لاحقة [٦] ضرورية [٧] لاتفارقها .

ولذلك [٨] إن أمكن أن تكون صورة لا مقابل لها فإن المادة التي فيها إنما هي موضوع فقط [٩] ، فليست مادة إلا باشتراك الاسم فإن الهيولى [١٠] لا نسبة لها في ذاتها إلى صورة من الصور بل كلها لها بالسواء . لأن كل متحرك فله محرك كالخشب الصناعية وهي لا تخلو [١١] من صورة أصلاً ، واذا حصل فيها صورة ما ، اي صورة ، كانت عند ذلك قابلة للمضادة الأخرى . فإذا وردت [١٢] عليها حركتها [١٣] .

---

(١) المخطوطة : الا .
(٢) المخطوطة : هلا .
(٣) المخطوطة : هيولا .
(٤) قارن ارسطو : Arist. Phys. I. 7. 191 a 10
(٥) المخطوطة : و
(٦) المخطوطة : لاحقا .
(٧) المخطوطة : ضروريا .
(٨) المخطوطة : كذلك .
(٩) فلا بد من موضوع للتقابل ، حيث لا يوجد تضاد عند عدم الموضوع ، انظر ارسطو : Phys. I. 7. 191 a 15 ، أيضاً : Plotinus (Mack.) II. p. 202
(١٠) المخطوطة : الهيولا .
(١١) المخطوطة : لا تخلوا .
(١٢) المخطوطة : اوردت .
(١٣) يقول ابن باجّة ، ورقة ١٤٤ ب : وكذا إن ورد وارد حركه فوروده حركة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمحرك صنفان[١] : إما غير مجانس كمحرك الأجسام المستدير فهو يحركها بالضرورة ، وإما مجانس[٢] ، فله هيولى ، وهي أيضاً قابلة للصورة المضادة للأولى . فليكن آ ب ماء . ففي آ ب صورة الماء ، فليكن ذلك بردا ، ففيه برد بالفعل وهو هواء بالقوة . فليكن قوة الهواء عليها ه . ففي آ ب « ب » و « ه »ا فلذلك يحرك من جهة أنه ب ويتحرك من جهة انه ه . وما يقابله[٣] هو آ و على آ ج ، ففي آ ج ج[٤] ، وهو صورته وفيه م وهو كونه ما بالقوة . وما بالقوة لا يتحرك دون محرك . فجسما آ ب ، آ ج ساكنان بما هما ه و م ومحركان بما هما ب و ج . فقوة ه تتحرك ضرورة عن ج[٥] وقوة م تتحرك عن ب . فإن كان ب مساويا لـ ج لم يتحرك ولا واحد منهما . وإن كان أحدهما[٦] أقوى وليكن ب حرك ضرورة آ م وصارت المادة ب وموضوعة لـ ب لزمها[٧] ضرورة ه ، لأن ب ج متجانسان وأضداد . فليس كذلك مما يمكن الصور فيه غير متضادة (ورقة ١٤٧ الف) [مثال] ذلك أن هذا خشب وكرسي بالقوة . فقد يكون كرسيا وهو خشب كما كان . فإن الكرسي غير مجانس للخشب على ما يجانس الحار البارد ، ولا افتراز قوة الكرسي بالخشب بالذات للخشب ، ولا الخشب سبب وجود القوة في الخشب إلا على جهة أخرى .

(١) المحرك صنفان : غير مجانس كمحرك الأجسام المستديرة ، ومجانس ، راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٩ ب : ... يحرك مجانس له ... ، ورقة ١٥٠ ب ... والمحركة منها مجانسة ... وغير مجانسة كالنار ...

(٢) المخطوطة : غير مجانس .

(٣) المخطوطة : للاعه .

(٤) المخطوطة : حر .

(٥) المخطوطة : د .

(٦) المخطوطة : احداهما .

(٧) المخطوطة : ولزمها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فأما الحار وقوة البارد ، فان وجوده حارا [١] هو سبب كونه بارداً بالقوة [٢] ، ومن أجله كان ذلك ، لأن نسبة الحار والبارد الى المادة نسبة واحدة [٣] . فمن الجهة التي تقبل الحار فمن تلك الجهة تقبل البارد بعينها [٤] وهما متغايران . ولو قبلتهما معاً لما بقي هنالك تغاير أصلا . وانما كانا متغايرين لأن المادة التي لها تقبل الاستقامة ، والمستقيم هو السبب الأول في التضاد [٥] ، لأن المستقيم هو متمم وليس بتام بذاته . فلذلك له وسط وطرفان [٦] ، لأنه متصل ، وكل متصل فهو ذو أجزاء [٧] — إلا أن هذا القول يليق بالنظر في سبب وجود الأضداد — وليس للقوة المتحركة التي هي له [٨] معنى يكون به أكثر أو أقل [٩] ، إلاّ أن تكون في جسم أعظم أو أصغر . والجسم يكون

(١) المخطوطة : حار .

(٢) زيلر (Zeller) يقول في كتابه ارسطاطاليس ص ٣٤٣ ج ١ :
« All becomes that wich it comes to be out of its opposite.
What becomeswarm must before have been cold » .

(٣) راجع ارسطو : Phys. IV. 9. 217 a 22 . وزاد ابن باجة في ورقة ٣٦ الف : فإن النار لا يمكن أن تكون باردة لكن من أجل انها نار لا من أجل أنها جسم .

(٤) المخطوطة : بعينها .

(٥) راجع ابن باجة ورقة ٦٣ الف : وليس كذلك في الخط المستقيم لأن ما منه غير ما اليه بالموضوع ، فان طرف آ غير طرف بّ . وقارن ارسطو : Phys. VIII. 8. 264. b 14 sq ، أيضاً ابن رشد : السماع ، حيدراباد ، ص ٦١ .

(٦) ابن باجة ورقة ٦٣ الف : والخط المستقيم ناقص عنه محدود بذاته ، وانما يتم بشيء خارج عنه . (ورقة ٦٣ الف) وكذلك الحركة المستقيمة ناقصة غير تامة وانما يتممها شيء آخر غيرها وهو السكون .... فهي أول وآخر ووسط . قارن أرسطو : Phys. VIII. 9. 265 a 28 .

(٧) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٣ الف : ولما كان المتصل ضرورة ذا أجزاء .

(٨) المخطوطة : آه .

(٩) انظر ابن باجة ، ورقة ٣٨ ب : فان الأقل والأكثر فيما له عدد ، والأعظم والأصغر فيما له اتصال . وأيضاً ورقة ٣٩ الف : ان كل مناسبتين فبينهما ضرورة معنى واحد بعينه مشترك يقبل الأقل والأكثر . قارن أرسطو : Phys. VIII. 8. 264 b 34

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أعظم وأصغر من جهة انه بالفعل ذلك الجسم ، لأنه بما هو صار له ذلك العظم الموجود بالطبع . والأقل والأكثر إنما هما [١] موجودان للمتضادين من < جهة > أنهما موجودان بالفعل . والأكثر والأقل يقالان بالافتياس ، فلذلك يلزم ضرورة فيما هيولاه واحدة أن يفعل كل واحد منهما وينفعل الآخر . وأما ما كان هيولاه [٢] ليست بواحدة لم ينفعل كل واحد منهما عن صاحبه ، بل تحرّك المتحرك وحرّك المحرك .

والهيولى إما قريبة وإما بعيدة . فاللذان هيولاهما القريبة واحدة بالنوع كالهواء والماء . وأما اللذان [٣] هيولاهما البعيدة واحدة بالنوع والقريبة مختلفة بالنوع فكالصانع والخشب في الكرسيّ ، ولذلك لا يكون صانع أعظم من صانع عند خشب واحد بعينه .

ولما كانت الهيولى البعيدة مشتركة لذلك قد يحرك الخشب الصانع مثل الكلال الذي يلحقه [٤] ، وعند ذلك الهيولى البعيدة . فان كل شيء يحرك شيئا ـ وهيولاهما شيئان غير مشتركين أصلا ـ لم يلحق الكلال المحرك ، لكن لكونه ذا هيولى ، لزم أن يكون للمحرّك [٥] عند المتحرك نسبة [٦] . وذلك

(١) المخطوطة : هو .
(٢) المخطوطة : مقولاه .
(٣) المخطوطة : التي .
(٤) ابن باجة ورقة ٤٢ الف : « لأن المحرك والمتحرك اذا كانا جسمين فان المتحرك ضرورة حركته عنه غير طبيعية ، فان كان كل واحد منهما عند صاحبه أوّلا ، فكل واحد منهما يحرك صاحبه غير ان المحرك تفضل قوته ولذلك يحرك ، ولأنه يتحرك عن المتحرك لذلك يكلّ عن تحريك المتحرّك ، فان فرقاً بين كلال المحرك عن تحريكه المتحرك وبين كلاله اللاحق له من ذاته » . قارن فضل الرحمٰن : Avicenna's Psychology ص ١٤١ ، س ٥٨ .
(٥) المخطوطة : المحرك .
(٦) قارن ابن باجة ورقة ٤٢ الف : ولذلك ليست أيضاً تستمر النسبة بين المحرك والمتحرك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كالأجرام المستديرة والاسطقسات . فإن كان المحرّك لا هيولى له فذلك المحرك يحرك دون كلال ودون [١] نسبة الى المتحرك في الكم لأنه ليس بذي أجزاء . وان لم يكن مكتفياً بنفسه (ورقة ١٤٧ ب) بتبع تحريكه نسبة الى المعاضد له فان أمكن أن يكون تارة يحرك وتارة لا ، كالعقل ، وحرك تحريكاً مختلفا كما يعرض في أكثر [٢] المتوسطة .

فإن كان مكتفياً بتحريكه بنفسه فذلك محرك ضرورة دائماً أو حركة سرمدية متشابهة كالمحرك الأول .

فالمادة في كل جسم يحتاج في وجودها ضرورة الى التلبس بصورة إما قريبة وإما بعيدة . والأمر فيها على ما يقوله فلاطن [٣] انها لفقرها وقبحها يهرب من أن يظهر بنفسها فكأنها تستتر بأي صورة امكنت [٤] . فهذه الأحوال تلحق المادة عند تجردها عن الصورة . فلننظر ما يلحق الصورة عند تجردها وكيف يكون ذلك .

والمبدأ الذي يقضي [٥] على ذلك هو أن الجسم المشار اليه عند وجوده يشار اليه فان الصورة فيه والمادة لا تغاير بينهما أصلا [٦] بوجه إما بالقوة وإما بالفعل . فهما شيء واحد [٧] وهو ذلك الشخص المشار اليه .

---

(١) المخطوطة : ويحرك دون .

(٢) المخطوطة : الاكثر .

(٣) قارن : Plotinus : Enneads II (Mack.) p. 182 & 195 — 6 ، ويظهر ان افلاطون لم يقل به في طيماؤس .

(٤) وبيّن زيلر (Zeller) نزوع المادة الطبيعي وتشوقها الى الصورة في كتابه أرسطاطاليس ص ٣٩٢ ج ١ .

(٥) المخطوطة : يقضا .

(٦) قارن أرسطو : Met. O. IX. 8. 1050 a 15 .

(٧) قارن ارسطو : Met. H. VIII. 1045 b 21 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وان كل شيء هو غرام ما [١] ، فان الشيء متى وجد مفارقاً للأمر ، فان الأمر قد يوجد مفارقاً للشيء .

وأما كيف يكون شيئان لا تغاير بينهما بالفعل أصلاً فيكون التغاير بالقوة ، فعلى ما يكون الجزء في الكلي المتصل المتشابه الأجزاء ، فإن الجزأين في الكل واحد بالفعل متغايران بالقوة . فان التغاير هو من وجه من أجل الصورة ، ومن جهة أخرى من أجل المادة . وأما كيف تكون الصورة والمادة شيئاً واحداً بالفعل ويتغايران [٢] بالقوة ، والقوة أبداً إنما هي المادة فقد بان أمره فيما بعد الطبيعة [٣] . والقوة هنا تدل على غير ما يدل قولنا « بالقوة » [٤] فيما يتغير فليس وجود الصورة هنا غير المادة بالقوة على ان أحدهما يتغير فيفترق المجتمع ، بل على جهة أخرى [٥] . فان الصورة المختصة بذلك المجتمع اذا فسد فسدت ضرورة ، وتتصور المادة بصورة أخرى [٦] ، ويصير بذلك التشكيل مجتمع آخر ، غير أن نسبتها إلى نوع الصورة الأولى توجد عند ذلك فيها [٧] ، فتصير بهذه

---

(١) ابن باجة ورقة ٥٤ الف : كل واحد من هذه فتشوقه بالطبع غريزة فيه . والمادة نزوع طبيعي الى الصورة بينه ارسطو انظر : Arist. I. p. 379 : Zeller; De Gene. Cor. II. 10. 336 b 4 ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ص ١٣٦ .

(٢) المخطوطة : يتغاير .

(٣) قارن أرسطو : Met. K. XI. 1060 a 20; 107 = b 12; 1071 a 10; 1042 a 27 .

(٤) المادة والصورة متقاربتان ، ووجود الصورة حقيقة فعل ما بالقوة ، والمادة ، كما ذكره زيلر (Zeller) ، في ذاتها أو قوتها هي التي فعلها صورة ، انظر : Arist. Vol. I p. 379 .

(٥) يعني المادة تختلف عن الصورة بالذات فقط ، فما بالقوة من حيث هو هو لم يتغير ولم يقبل الفعل بعد .

(٦) والمادة لا توجد منفردة عن الصور أصلا ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة أخرى . النص نفسه والتعليق ٩ السابق . زيلر (Zeller) : Arist, I. p. 382 .

(٧) النص العربي آخر ورقة ١٤٩ ب : لأن نسبتها الى الهيولى فيها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النسبة محاكية لما بالفعل [١] ، وقد استُقصِي القول فيها في غير هذا الموضع .

فأما الصورة فلا يمكن فيها أن تتحرك [٢] كما أمكن في المادة فتصير غيرا ، إلاّ انها غير بالضرورة . فكيف توجد غيرا ؟ أما أنها لا تتحرك بالذات فذلك بيّن ، لأنها غير منقسمة [٣] وأما أن تتحرك بالعرض فذلك غير ممتنع ، كما تبين في السماع [٤] . لكن حركتها بالعرض كيف تصير بهـا شيئاً ، والحركة بالعرض ؟ وكيف وجود هذه الحال لها حتى تصير بها غيرا ؟

فنقول : إن من الأمور التي يجب أن يعترف بها ان الطبيعة لا تصنع أمراً باطلا ، ولا في الوجود أمر باطل أصلا . وكل موجود إما أن يكون لأجل غيره أو لأجله [٥] . (ورقة ١٤٨ الف) وما هو لأجل غيره فغايته اتصاله بذلك الشيء < الذي > وُجد له .

والاتصال إمّا في [الوجود] فالأمر فيه كاتصال النفس بالبدن واتصال

---

(١) المادة لاقترانها بالصورة الأولية تصير محاكية لما بالفعل فتحرك صورة أخرى (النص) فان المادة نفسها ليست شيئاً أصلاً بالفعل ، والمتغير ضرورة موجود بالفعل شيئاً ما فلذلك كان عندما يتحرك موجوداً بالضرورة فيحتاج الى الصورة ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي هي فيه ، انظر النص ورقة ١٥٢ ب ، وقارن أرسطو : Zeller : Arist I. 383; De Gen et Cor. II. 9. 335 b 17; b 30 .

(٢) انظر ابن باجّة ، ورقة ٢٢١ الف ٣ فلذلك يقال انها (الصورة) ساكنة لأنها لا تتحرك بل تعدم وتوجد ، لا يتغير ذاتهـا لا بكون ولا فساد ، وقارن أرسطو : Phys. V. I. 224 b 25 .

(٣) النص نفسه ورقة ١٥٣ الف : وهي غير ذات أجزاء .

(٤) انظر التعليق (٢) أعلاه ، ولصّل ابن باجة قائـلاً (ورقة ٢٢١ الف) : وهذه الصورة فلا تتحرك لأنها ليست أجساماً بل ان تحركت فبالعرض كما يقال في النحو انه متحرك اذا تحرك النحوي .

(٥) اما ان الموجود ينقسم الى لذاته ولغيره فذلك أيضاً يفهم من ورقة ٢٢٠ ب : والنبات فليس من الموجودات لذاتها ، بل من الموجودات لغيرها من الأجسام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المتغير بالمغير سواء كان تغيراً أو انفعالا أو [١] ملكة وما يجري مجراها ، وإما [٢] اتصال الهيولى وهو اتصال الجسم بالجسم ، وهو أصناف : فمنها اتصال الجسم بما فيه الجسم وهو الاتصال بالمكان ، ومنها اتصال الجسم المحرك بالجسم المتحرك . وأقدم هذه الاتصالات الاتصال بالمكان على ما تبيّن في سابعة السماع [٣] . إذ كان كل متغير فله مغير .

والاتصال يقال على اتصال الوجود [٤] واتصال الجسم بتقديم وتأخير . والاتصال بالمكان هو اتصال الجسم بالجسم بالذات وأما سائر ذلك فهو <اتصال الجسم بـ> الجسم [٥] بالعرض .

وظاهر أن كل شيء إما أن يكون جسماً أو في جسم أو لا يكون جسماً أصلاً ولا في جسم . وأعني بقولي «في جسم» كل ما يحتاج في وجوده الى الجسم ، فانه قد يبرهن أن موجوداً ما لا يحتاج في قوامه الى الجسم بل يحتاج الجسم في قوامه اليه ويكون متصلاً بالجسم على هذه الجهة كما تبين ذلك في آخر الثامنة من السماع ، وفي [٦] السادسة عشر من الحيوان [٧] . «فهذا»

(١) المخطوطة : و .
(٢) المخطوطة : .... مجراها منها .
(٣) قارن أرسطو : Phys. VII. I. 242 b 24 .
(٤) النص نفسه ورقة ١٤٩ الف : وهذا الاتصال ... الا في الوجود .
(٥) المخطوطة : فهو الجسم .
(٦) المخطوطة : ومن .
(٧) الظاهر ان ابن باجة يشير الى الباب الثامن من كتاب السماع الطبيعي والباب السادس عشر من كتاب الحيوان ، ولكن أرسطو ، كما يفهم من المقالتين في كتابيه ، لم يذكر الاتصال بالمعنى الذي وصفه ابن باجة في هذا المقام . والذي قاله أرسطو في الكتاب الثامن من السماع ، ولعل ابن باجة قصده في نظريته ، « ان كل ما هو محرك بالذات متصل » (5. 227 b 1) ، وانظر أيضاً Phys. III. I. 200 b 7 ، « فالحركة من الأشياء التي هي متصلة » ، أيضاً Phys. VI. 2. 232 b 24; V. 3. 227 a 10; IV. II. 218 b 11 ، ولمادة كتاب الحيوان انظر Der Portibus Animalium II. 9. 654 b 14 . وفي آخر الكتاب الثامن من السماع بين ابن باجة : « وبين ان المتحرك عن مثل هذا المحرك (أي الأول) دايم الوجود ، وسبب دوام وجوده اتصاله بمبدأه ، ومبدأه أول وهو يرفده دائماً بالوجود لأنه فيه ومتصل به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليس بجسم ولا في جسم ، وهذا لا يمكن أن يكون له اتصال إلاّ بالوجود فقط . فلذلك إن كان شيء وجوده لغيره وكان ذلك الذي وجد من أجله جسماً لزم ضرورة أن يتصل المتقدم بالمتأخر اتصالاً جسمانيا . وإن كان المتأخر ليس قوامه بذلك المتقدم حتى يكون المتأخر في المتقدم كالصحة في الانسان . فضرورة سيكون «هذا» جسماً ، فانه ان لم يكن جسماً لم يكن بين المتقدم والمتأخر اتصال أصلاً .

والصور الهيولانية لم توجد لأنفسها بل كانت من أجل غيرها ، فإن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلا . وتبين [1] في كتاب السماء والعالم [2] ان الاسطقسات لأجل الأجسام المستديرة [3] ، لأن الجسم المستدير فيها على جهة ما الجسم في المكان ، وهي في الجسم المستدير على جهة ما الجزء في الكل . فان العالم كأنه حيوان واحد مفرد ليس يحتاج إلى شيء من خارجه اصلاً ، فبالضرورة كانت صورة الاسطقسات في مادة . ولما كان السبب على طريق الغاية هو التام ـ وهو الوجود الأفضل ـ فلذلك كان وجوده بعد الاسطقسات ضرورة في موضوع لوجود ما هي من أجله كذلك . فإنه لو لم يكن ضرورة المستدير في موضوع لم تحتج هذه ان تكون في موضوع ، فوجود تلك الصور في موضوع هو سبب وجود هذه في موضوع . فالجسم يقال على تلك وعلى هذه بتقديم وتأخير . وقد استبان ما تشكك فيه أبو نصر في مقالته في

---

(١) المخطوطة : وبس .

(٢) وفلاسفة العرب يسمون الرسالتين الشهيرتين بـ De Caelo و De Mundo ، وهما لأرسطو ، بكتاب السماء والعالم .

(٣) قارن أرسطو : De Caelo III. I. 298 a 30 و De Mundo 2. 391 b 9 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العقل والمعقول [١] .

(ورقة ١٤٨ ب) وقد تبين أن المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة [٢] حسب ما وضعه ارسطو ، لكن من أجل وجودها الأخير لا من أجل وجودها الأوّل و [الشك] إنما لزم من أجل وجودها الأوّل . وقد يتشكك على هذا القول : فيقال ان الوجود الأخير هو الأفضل ، ووجودها الأول هو الأنقص فيكون الوجود الجسماني أفضل من الوجود المعقول ، وهذا مناقض لما يقوله فلاطن والمشهور من مذاهب المشائين .

فنقول : إن قولنا « وجود أفضل » يقال على نحوين : إما بالإطلاق ، فإن الوجود المعقول أفضل من الوجود المحسوس [٣] وذلك بيّن لأن المعقول أحرى بالوجود من المحسوس ، فإن ذلك مبدأ لهذا [٤] ، وقد بيّن ذلك فلاطن

---

(١) الظاهر ان ابن باجة يشير الى ما قاله الفارابي في رسالته في العقل (تحقيق بوئيج Bouyges ، ص ٣٠) ان الصور التي في العقل بالفعل والتي تتجرد عن المادة إن كانت موجودة بغير المادة فلماذا تحتاج الى المادة ، ولم تتنزل من الكمال الى النقص ؟ وانما أشار الفارابي الى الجواب حيث يقول : « يقال انها تتنزل لتكميل المادة في الوجود » ، وزاد قائلاً : « هذا يدل ان الصورة وجدت من أجل المادة فقط » وهذا يخالف ما قاله أرسطو . أمّا ابن باجة فانه يبين ان السبب هو التام على طريق الغاية فيكون ضرورة في موضوع ، فان الاسطقسات التي هي من أجل التام ضرورة في موضوع ، فوجود الصور في موضوع هو سبب وجود الاسطقسات في موضوع ، فالاسطقسات والصور أجسام بتقديم وتأخير .

(٢) لم يصرّح ابن باجّة ان المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة ، ولعله أراد النسبة التي بيّنها لها في ورقة ١٤٦ ب : « ان امكن ان تكون صورة لا مقابل لها فان المادة التي فيها انما هي موضوع فقط الخ » ، ولا صرّح أرسطو واضحاً هذه المسألة . راجع Phys. III. 7. 207; I. 7. 191 a 10: 9. 192 a 22 .

(٣) هذا يتضح مما قاله ابن باجّة في موضع آخر : ورقة ٢٢١ الف س ٩ : « وأنفس الحيوان تتقدم بالزمان الجواهر المعقولة في الاسم ، والجواهر المعقولة هي أخلق في الوجود بهذا الاسم » .

(٤) قارن زيلر : Zeller : Arist.. II. p. 338. 5 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأرسطو وكثير من المشائين . والأحرى بالوجود يقال انه أفضل وجودا ، وقد يقال « وجود أفضل » بالإضافة الى نوع نوع من الموجودات ، لكن ليس انه [١] من أجل ذلك الموجود [٢] فيكون للوجود الاسم الذي لذلك الموجود ليس من جنس الأفضل ، فيكون إنما وجوده الأفضل هو من جنس الوجود الأنقص . ويكون هذا الأفضل لا من أجل أنه النوع من الوجود بل هو له من أجل شيء يخصه [٣] . فلذلك قيل ان الصورة الهيولانية معقولة لا بذاتها بل من أجل أن العقل جعلها كذلك .

لكن قد يتشكك متشكك فيقول : ان هذا الوجود اللاحق للصور الهيولانية لو لم يكن في ذاتها ووجودها أن تكون معقولة لم تعقل . لأنه كل شيء يوجد لأمر ففي طبيعة الأمر قبول ذلك الشيء . وما لم يكن في طبيعته قبول شيء ما لا قريباً ولا بعيدا فلا يمكن ان يوجد له لا بالذات ولا بالعرض .

فنقول : إما أن يكون في طبيعة الصور الهيولانية أن تكون معقولة بوجه فذلك مما لم يوضع في القول ، وإمّا أن يكون ـ في وجودها الذي يخصها ـ وجودها معقولة ، فلا . لكن يكون مما به قوامها قبول [٤] للوجود المعقول ، فاذا اتصل بها المحرك صار لها ذلك الوجود ، فلذلك تحتاج في ذلك الوجود إلى شيء آخر . وهو اتصالها بالمحرك وهو لها من خارج . فلذلك ليس في ذاتها أن تكون معقولة بل أن يجعلها عقلاً غيرُها . فلذلك تحتاج الى هذا الاتصال دائماً لتكون معقولة ، ويتم لها كلها في وجودها فيكون كمال وجودها الخاص بها هو من جنس الوجود الناقص ، فاذا أخذت قسطها من الوجود الأفضل

---

(١) المخطوطة : ان .
(٢) المخطوطة : الوجود .
(٣) المخطوطة : بحمه .
(٤) المخطوطة : قمول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كانت حينئذ مقتصرة على وجودهـا الأفضل [١] . (ورقة ١٤٩ الف) [فلأجل] هذا كلّ متبرئ من المادة وهي [٢] ضرورة مفارقة كما يقال في العقل المستفاد .

لكن قد يتشكك على هذا القول ، فيقال : ان وجود الصور معقولةً هو وجودها غير مقترنة بفعل فقد لزم أن يكون في الطبيعة شيء باطل ، فيعود الشك بعينه .

فنقول : ان هذه الصور الهيولانية قد تكون محسوسة ومتخيلة فتكون عند ذلك محركة للشهوة والغضب ولأشياء أخر كثيرة [٣] . فتكون لها أفعال إما في وجودها في الموادّ التي تخصها فتلقب بألقابها ، وإمّا في وجودها محسوسة ومتخيلةً فلا تلقب بتلك الألقاب ، بل يلقب الجنس نفساً [٤] متحركة ولا اسم لصنف صنف منها يخصها .

لكن قد يسأل سائل فيقول في وجودها معقولاتٍ مثل ذلك بعينه . ووجودها معقولة ان بعضها لا يوجد شيء بفعله أصلاً . لكن هذا الشك انما يجب أن يفحص عنه عند النظر في وجود العالم ونسب ما فيه بعضها الى بعض . فإن وجود المعقول من أجل غيره غير وجود الهيولاني من أجل غيره ، بل الوجودان متقابلان [٥] . ولهذا [٦] قال أبو نصر : « ويصير أحد موجودات

---

(١) المخطوطة : وجوديها الافضلين .

(٢) المخطوطة : هو .

(٣) راجع أرسطو : Arist. : De An. I. 403 a 16 .

(٤) أيضاً : Zeller : Arist. I. p. 220 ft. ; Arist. : Met. VIII. 6. ch. 28. 1024 b 3 .

(٥) راجع زيلر : Zeller : Arist.. I. p. 351 .

(٦) في نسخة برلين عنوان مستقل : « في الحس » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العـالم» [١] .

ولما كان المحرك يفعل حينا ولا يفعل [٢] حينا آخر وجب أن يكون هناك تغير ضرورة . إلاّ أن المحرك ليس بجسم ، فالتغير إذن في الصورة الهيولانية . ولما كان كل ما ليس منقسم فليس متغير كان لها التغير [٣] بالعرض [٤] وهو أن توجد لمتغير . فهي إذن ضرورة تحتاج أبداً الى الهيولى لتتغير بها [٥] . وهذا الاتصال ليس يقال بالتغير في بالمكان ، لأن أحدهما ليس بجسم وليس يقرب أو يبعد ، فليس إلاّ في الوجود [٦] .

ولذلك يكون للهيولاني ضربان من التغير ، يتقدم أحدهما الآخر على نحو ما يتقدم مبدأهما [٧] : أما الواحد فهو التغير [٨] في المكان ومبدأه الوجود الهيولاني من أجل انه هو في موضوع . فان الهيولاني إنما يدل عليه من أجل

---

(١) راجع رسالة فى العقل ، نشر بوئيج (Bouyges) ص ١٧ : « فاذا حصلت المعقولات بالفعل صارت حينئذ أحد موجودات العالم وعدت من حيث هي معقولات في جملة الموجودات » . والعبارة تدل على أن المعقولات تختلف من الأجسام . وابن باجّة يوضح الأمر عندما يصف ان الحس المشترك لا يوجد في نفسه ، واذا يدرك بالحس فيصير شيئاً مشاراً اليه وأحد موجودات العالم . راجع ورقة ٢٢٠ ب : فاذاً إنما يعطى المني المادة قوة الحس المشترك فيا له ذلك ، وليس هو في نفسه شيئاً موجوداً . واذا أحس صار شيئاً مشاراً اليه وأحد موجودات العالم ، واذا كان بحيث يبقي فيه رسوم أحس بعد غيبة المحسوس صار بالفعل شيئاً مشاراً اليه وصار أحد موجودات في العالم .

(٢) المخطوطة : بفعل .

(٣) المخطوطة : المتغير .

(٤) راجع النص ورقة ١٥٣ الف : فتغير الصورة ... بالعرض .

(٥) قارن أرسطو : Arist; Met. 1010 a 15; Phys. VIII. 3. 253 b 9 sqq .

(٦) راجع النص ورقة ١٤٨ الف : والاتصال اما في الوجود الخ ، . . . على اتصال الوجود .

(٧) المخطوطة : مداهما .

(٨) المخطوطة : المتغير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنه كاين لا من أجل أنه موجود ، والتغير الآخر من أجل هذا الوجود الخارج عن ذاته الذي يتقدم ذلك الوجود الآخر كما تتقدم حركة المكان سائر الحركات . فأما التغير في الكم ـ مثل النشوء ـ (١) فذلك خاص ببعض الأجسام الهيولانية وهي المتغذية .

والتغير في الوجود هو أن يصير « هذا » في رتبة أقرب الى الوجود (٢) . وذلك بأن توجد لها مغايرة ما . وقد قلنا ان ذلك ليس بممكن فيها إلا من أجل المحرك والمتحرك لا يحرك (٣) . فظاهر أنه يجب (ورقة ١٤٩ ب) أن يكون الوجود يخالط الاسطقسات ليس بواحد هو منها أحرى بالوجود من الهيولاني (٤) وهو مشوب مع الاسطقسات (٥) يكون تارة تحريكه بمحرك مجانس له وهو الذي في ذوات الأنفس المتناسلة ، وبعضه تحركه الأجسام المستديرة كأنفس المتكونة غير المتناسلة .

ولأن القول في وجود الصور الهيولانية مجردة عن الهيولى ، وهذه هي العقل بالفعل (٦) فقد تبيّن أن ذلك هو السبب الأقصى (٧) مما قلناه قبل .

---

(١) المخطوطة : النش .

(٢) مراتب الوجود بيّنها ابن السيد البطليوسي من رفقاء ابن باجة ، في كتاب الحدائق ، ويقول في ختام البحث : فانما أريد بذكر القرب والبعد مراتبها في الوجود . راجع الأندلس : Al - Andalus : vol. V. 1940 p. 64. 5 ، ميدرد .

(٣) المخطوطة : لا يتحرك .

(٤) المخطوطة : الهيولانية .

(٥) قارن أرسطو : Phys. III. 4. 204 b 32 .

(٦) راجع التعليق (١) ص ٣٩ ، من الجزء ٣ من هذا المجلد (الفصل الثاني) .

(٧) كما قال ابن السيد في حدائقه (الأندلس vol. V. 1940 p. 65. 8) : أول الموجودات التي خلقها الله تعالى الثواني التسع والعقول المجردة عن المادة ، ويتبعها العقل بالفعل الذي يخدم الاسطقسات وهو مجرد عن المادة مثل الثواني ، وهو عاشر في مراتب الوجود .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان هذا النحو من [١] الوجود في [٢] الهيولى لا يمكن أن يكون موجوداً بالفعل حتى يكون بأحوال محدودة من الاغتذاء [٣] والأمكن أن يكون مختاراً من الغذاء الملائم الى ساير ما لا يتم وجوده إلاّ به وهو الإنسان .

فبالضرورة تقدمت إذن القوة الناطقة ساير [٤] قوى النفس في الوجود ، ووجدت ساير القوى لأجل هذه التي هي أفضل ، فلذلك تكون والتخيل من أجل القوة الناطقة ، ولم يكن ذلك [٥] بالضرورة كما يعتقده من يرى أن الاسطقسات لما اختلطت باعتدال عرض عنها الحس بالاتفاق .

والصورة إذن لها مراتب : أولها كونها وجودها هيولانية [٦] ، وهذه فلا مغايرة فيها أصلا . وهي الطرف الأقصى ، وطرف آخر مقابل له وهو وجودها معقولة ، وهو طرف أقصى . إلا انه في وجودها معقولة <يجب> أن يكون لها وجود هيولاني ويكون ذلك مما به قوامها . فإن ذلك هو مبدأ وجودها . وإن التمام هو أخلق المبادي بأن يكون مبدأ فلذلك لا تمكن هذه أن تتجرد من الهيولى أصلاً . ومتى جردت كانت مخترعة كاذبة . فلذلك لزم ضرورة أن يكون النظر الطبيعي في «الصور مع المواد» . وتلخيص هذا يكون في القوة الناطقة [٧] فهي أبداً لا تخلو [٨] من موضوع إذ كذلك طبعت .

(١) المخطوطة : في .
(٢) المخطوطة : من .
(٣) قارن ابن باجة : ورقة ٥٤ الف : وأما الحيوان فانه كما قيل في مواضع كثيرة بالطبيعة يغتذي .
(٤) المخطوطة : وساير .
(٥) أي قوة الحس لم تكن بالضرورة ولكن الحس والتخيل هما وجدا من أجل القوة الناطقة .
(٦) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس . بتحقيق أحمد الأهوانى ، ص ١٦٠٧٣ وحيدراباد ص ٦٧ .
(٧) انظر ورقة ١٦٤ الف : « فإن كان ذلك فلها هيولى الخ » .
(٨) المخطوطة : لا تخلوا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاذا وجدت متغايرة فظاهر أنه قد اتصل بها المحرك على قدر تغايرها . وذلك تابع لمقدار التجرد . فكذلك كل صورة هيولانية ، أعني أن توجد في موضوعها على أن الموضوع هيولى لها . فهي والاسطقسات في رتبة واحدة . فأمّا اذا وجدت منتزعة نحواً من الانتزاع سواء كانت مجردة أو كان لها موضوع - إلاّ ان حال موضوعها منها ليست مثل حال الهيولى من الصورة - فإن ذلك كيف كان فيقال له إدراك .

فأمّا تجرد الصور الهيولانية فذلك غير ممكن لأن نسبتها الى الهيولى فيها على ما تبين قبل هذا [1] . فلذلك يكون في ذوات (ورقة ١٥٠ الف) الصور ضرورة معنى به تتصل بالهيولى ، فما دام اتصالها [بالهيولى] كانت عقلاً واذا تجردت [2] الهيولى صارت عقلاً بالقوة .

وهذا التجرد مراتب ، وكل رتبة يقال لها « نفس » ، و « قوة نفسانية » وهي رتبة : منها الحس ثم التخيل ثم النطق وهو [3] أقصاها . فأما المغتذي فأيّ رتبة رتبته فسنبين أمره بعد . وقد قلنا من أجل ماذا كانت هذه الرتب ، وانها كلها من أجل الناطقة .

وامّا ان هذه رتب فذلك بيّن بنفسه . فان الحسّ والتخيل أمران ظاهران الوجود .

فأمّا أيّ هذه هي الحس وكيف يكون ، فبيّن ما نقوله :

فنقول : إن من الأمور الظاهرة ان الحس يكون بالفعل [4] كحال الحيوان المنتبه عندما يحس ، وقد يكون بالقوة مثل حال النائم والغالق عينيه . والقوة

---

(١) انظر ورقة ١٤٧ ب : « غير ان نسبتها الى نوع الصورة الأولى توجد الخ » .
(٢) المخطوطة : تحركت .
(٣) المخطوطة : وهي .
(٤) قارن أرسطو : De An.. II. 5. 417 a 6; 22 sqq. . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٣٠٢٠ ، حيدراباد ص ١٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منها قريبة ومنها بعيدة[١] . والبعيدة كقوة الجنين على الحس ، والقريبة كحال حاسة الشم عندما لا يحضر مشموم ، وحال البصر عند الظلمة . وكذلك من الأمور المعترف بها ان لا يحس أي نوع شيئاً من الحس بأي عضو[٢] اتفق . فان الحيوان لا يبصر بفمه ولا يذوق بعينيه .

وكل ما بالقوة فانما يصير بالفعل بأن يتغير بمغير كما تبين في ثامنة السماع[٣] .

فقد يجب أن يكون في الحس متغير ومغير[٤] . وبيّن أن المتحرك غير المحرك . فالمحرك هو المحسوس ووجوده محركاً ظاهر بنفسه والمتحرك هو الحاسة .

وكل متحرك فانه بالقوة ذلك الذي اليه يتحرك فالحاسة لها قوة الحس ، والقوة على ما تبين في مواضع كثيرة هي في الهيولى[٥] . فلننظر أي هيولى يجب أن تكون هذه .

فنقول : ان الهيولى تقال بتقديم على الهيولى الأولى المشتركة الكائنة الفاسدة وهي بالقوة ذلك الشيء الذي من شأنها أن تقبله . وهي في غير ذاتها غير مصورة لكنها كما قلنا مقترنة بصورة[٦] ، فلذلك يوجد لها أبداً أحد الأضداد . وذلك ان الصور الأولى التي هي صور الجواهر كالخفة والثقل[٧] ، فلا توجد

---

(١) قارن أرسطو : De An. II. 5. 417 a 30; b 19. 30; 418 a 1 أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ص ٢٠ .

(٢) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٢٥ ، حيدراباد ص ١٠٠٢٢ .

(٣) انظر النص نفسه ورقة ١٤٣ الف ، والتعليق ٢ و ٤ من ص ٤٢٦ من هذا المجلد .

(٤) قارن أرسطو : De Somno I. 454 a 9; De An. II. 5. 416 b 33 .

(٥) انظر النص نفسه ورقة ١٤٧ ب : والقوة ابداً إنما هي المادة الخ .

(٦) النص نفسه آخر ورقة ١٤٦ الف . وورقة ١٤٦ ب : وهي لا تخلو من صورة أصلا الخ . وابن رشد : المصدر نفسه ، الأهواني ، ص ٢١ وحيدراباد ص ١٧ و ١٨ .

(٧) انظر ابن رشد : المصدر نفسه ، الاهـــواني ، ص ١٦٠٧٣ وحيدراباد ص ١٩٠٦٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلواً من هذه . وكذلك في الأعراض التي تنسب الى الأجسام من أجل ما هي أجسام ، فان الهيولى انما يوجد لها من الأعراض الأول أحد الأضداد (١) ، وأول الأعراض وجوداً فيها الأطوال . فلذلك توجد أبداً مجسمة . فأما لِمَ كانت الأطوال أول الأعراض اللاحقة لها فقد أعطي السبب فيه في غير هذا الموضع . ثم من بعد ذلك أنواع ، الكيف والأين الى ساير ما للجسم من المقولات العشر . فكل صورة في مادة فان الأطوال تلزمها . لأن الصورة إمَّا أن تكون لبسيط ـ فقد قيل ـ لها من أجل المادة الأطوال ، أو تكون لمركب ، فهي عن ذوات الأطوال . ويلزمها من أجل صورتها النوع من الطول الذي (ورقة ١٥٠ ب) يوجد لها سواء كانت نسب أبعاده الثلاثة بعضها الى بعض محدودة كالحيوان أو كانت لها بالعرض كقطعة ذهب فإنها قد تكون كرة فتكون أبعادها الثلاثة متساوية ، فاذا مدَّت فصارت مستطيلة تقرب أبعادها بعضها الى بعض .

والمحسوسات هي أعراض في أجسام هيولانية وهي التي تخص بالأجسام الطبيعية أو صور الأجسام الطبيعية . والأعراض الطبيعية إما خاصة بالأجسام الطبيعية كالحر والبرد والصلابة واللين ، وإما مشتركة للأجسام الطبيعية والصناعية . إلا أنها للصناعية متأخرة وللطبيعية متقدمة . فالمحسوسات إذن هي صور في أجسام طبيعية ، فإن الأعراض تجري مجرى الصور . وبيّن أن هذه كلها صور هيولانية ليس لصور واحدٍ منها شيء من الانتزاع (٢) .

والأعراض الطبيعية منها محركة ومنها متحركة . والمحركة منها مجانسة (٣)

---

(١) أيضاً ، ص ١٠٧٤ وحيدراباد ص ٥٠٦٩ .

(٢) المخطوطة : الانواع ، وبالهامش الانتزاع .

(٣) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : والمحرك صنفان .... واما مجانس ....

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

للمتحرك وهي [١] الشيء الذي يصير المحرك مثله كالنار ، <ومنها> غير مجانسة [٢] كالنار لتصليب الطين .

وما تحرك عن نوعه فليس يصير ذلك المحرك ولا يصير له ذلك المعنى المختص بالمحرك من جهة ما هو ذلك المحرك فلذلك [٣] تحركت الى النوع [٤] فانها [٥] لو تحركت الى ذلك الشخص من أشخاص من نوع المحرك لما أمكن ان تحرك خشبة مّا . بل كانت [٦] تحركها نار ما بعينها ، كحركة العاشق للمعشوق ، فانها [٧] ليست تتحرك الى أي انسان اتفق مثل الانسان بعينه ، وهذا بيّن بنفسه .

ولذلك تبين في المحرك انه انما حرك لابانه ذلك الذي في المادة من أجل انه في المادة بل حرك من جهة انه ذلك النوع ، كما يشاهد ذلك في الأجسام الممتزجة ، فإنها تتحرك بحركة الأغلب من غير أن يكون هنالك عند الامتزاج الخيار . ولا تغاير إلاّ أن يكون هناك متضادان وهنا انما هو أحد الأضداد فقط ولا معنى فيه [٨] للمادة بل هي فيه كأنها ليست بموجودة وكأن الصورة موجودة في الجسم فقط . وانما تبين أمرها كما ذكرناه [٩] عند التغير .

---

(١) المخطوطة : وهو .
(٢) المخطوطة : غير مجانس .
(٣) المخطوطة : بل .
(٤) أي الصورة الخاصة التي تتحرك الى النوع يقال لها الطبيعة أو ما يجري مجراها ، كما ذكر ابن باجة في تدبير المتوحد ص ٦٨ : ... الطبيعة ، فانّ العاطش مثلا يجد في نفسه صورة روحانية للماء (في الأصل : الماء) والجائع للطعام (في الأصل : الطعام) .... وأما ما يجري مجرى الطبيعة كالعاشق للمعشوق وبالجملة فالمشوق للمتشوق .
(٥) المخطوطة : فانه .
(٦) المخطوطة : كان .
(٧) المخطوطة : فانه .
(٨) المخطوطة : فيها .
(٩) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على انها هيولى لها الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليس هذا هو الوجود الذي وقع به التغاير بل هذا هو وجودٌ للصورة التي يخصها من أجل ذاتها .

فان وجدت هذه الصورة وقد غايرت المادة على النحو الذي قلناه (١) ، فانها تكون على أحد نحوين : إما أن تكون كانت موجودة متغايرة فحضرت عند الادراك ، وبيّنٌ أن هذا محال ، فانه يلزم أن تكون صورة هذا الكاتب مثلاً بوجوده عند الحاسة (٢) قبل ادراك المحسوس (٣) . وإما أن تكون تحدث فيلزم أن تكون بالقوة ، وما بالقوة فهو هيولى . لكن إن كانت تلك الهيولى له فالحادث مثله هو ، لأنه يلزم أن يكون (ورقة ١٥١ الف) الحادث جسما فيكون بالحس ذا عظم في نفسه فلا يحض الصغير ما هو أكبر منه لأنه يكون الجزء ليس بأصغر من الكل ، وهذا محال .

وانما تتصل بالمحرك غير الاتصال الأول ان كان هناك اتصال . وان كانت الهيولى بحال أخرى حتى تكون اذا كانت بحال ما اتصلها ، واذا كانت بحال أخرى لم يتصل بها ـ وتلك الحال هي النفس ـ أو تكون مواد لا من نوع واحد فكيف تكون مادة بلا صورة أصلا ؟ وكيف يتحرك ما هذا سبيله وكيف كان ؟ فانّ المحرّك قد اتصل بهذا المتحرك غير اتصاله بالهيولى حتى صارت تقبل الصور هذا النوعَ من القبول ، إذ لا يمكننا أن نضع أن

---

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : الا انها غير بالضرورة .... ورقة ١٥٣ الف : اذا كانت الصورة قد غايرت .... فتتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٢) المخطوطة : الحامس .

(٣) استدلّ ابن باجة على ان الصور الروحانية لا تتجرد عن الأجسام والا لزم محالات بدليل آخر يشبه ما ذكره في النص ، ورقة ٢٢١ الف و ب : « ولو وجدت (أي الصور الروحانية) مفارقة للزم أحد أمرين : اما أن يكون أجساماً ولذلك تتصل بالأجسام وكونها أجسام محال ، وأيضاً فلو كانت موجودة مفارقة للزم من ذلك أيضاً محالات كثيرة .... وهو وجود أشخاص الاعراض مفارقة لأن هذه الاعراض هي التي تحرك فيلزم ما يلزم وهو وجود الاشخاص قبل وجودها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحس يحرك المحسوس [١] . ولو وضعنا ما وضعه جالينوس في الأبصار فعل ذلك المحسوس ولافترق . إلاّ أن جالينوس يضع المحرك المتحرك يتحرك الى المحرّك وهو المحسوس [٢] ، وأرسطو يضع ان المحرك ها هنا هو المحسوس ، هو الذي يتحرك بنحوٍ ما إلى المتحرك ، لأن المحرك يجب أن يكون بالفعل . وهذا بيّنٌ بنفسه . وهذه القوة هي نفس بالجملة .

ولما كان الأمر على ما تبين ، وأن كل كائن فاسد فهو جسم ملموس [٣] . وكان كل ملموس [٤] فهو إمّا بسيط وإما مركب . وكانت البسائط هي الأربعة وهي المعدودة في مواضع كثيرة ـ واحد المواضع في الثانية عشر من الحيوان [٥] . وقد تبيّن أن كل جسم حساس فهو مركب [٦] وليس ببسيط ، وانه على ما تبين من أرض ليكون له قوام ونهاية مخصوصة ، فانه ليس يوجد حيوان متشابه الأجزاء ، ولا نبات . وكل مركب فإمّا أن تكون اسطقساته التي تركب منها [٧] موجودة فيه بالفعل ـ فيكون تركيبه إمّا اتصالا وإما التحاما ، وبالجملة فيكون متلافيا [٨] ـ وإمّا أن تكون اسطقساته التي منها تركب موجودة فيه بالقوة ، فيكون امتزاجاً . وما له نفس فهو مركب على هذه الجهة

---

(١) قارن زيلر : Zeller (De An. II. 5 init.) Arist. II. p. 58. 6 .

(٢) قارن أرسطو : De An. II. 5. 416 b 33; 417 a 13 .

(٣) المخطوطة : مملوس .

(٤) المخطوطة : مملوس .

(٥) أيضاً Arist. De Motu 703 a 25; De caelo. 269 a 2. 29 ، وابن باجة ورقة ٩٤ ب : « قال أرسطو عندما عدد الاسطقسات في الثانية عشر من الحيوان » .

(٦) راجع ابن باجة : ورقة ٩٣ ب : انواع التركيب ثلاثة : الأول تركيب الاسطقسات ـ وهو من الصورة والمادة الأولى ، والثاني التركيب من الاسطقسات وهو في المتشابة الأجزاء . والثالث التركيب من هذه وهي الأعضاء في ذي الأعضاء ، وأجزاء النبات كاليد والرجل وما جانسها .

(٧) المخطوطة : منه .

(٨) المخطوطة : متلامت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا على الجهات الأخر . فانه لا يوجد نبات ولا حيوان يوجد < فيه > أحد الاسطقسات بالفعل ، فلا يظهر فيه أحد الاسطقسات ظهوراً يظن به أنه أحدهما ، كما يظن ذلك في كثير من المركبات (١) ككثير من الأحجار وكثير من الأجسام المعدنية . بل إنما توجد الأرض والماء فيهما يختلطان . وأمّا سائر الاسطقسات فوجودها قد يخفى في بعضها .

وكل ممتزج فله مازج (٢) ، وقد تبين في الكون والفساد كيف يكون المزج بالإطلاق (٣) .

والامتزاج منه صناعي كمزج الذهب بالفضة والعسل بالخل في السكنجبين ، ومنه طبيعي كامتزاج الاسطقسات في النبات ، والامتزاج الطبيعي يكون على ما بيّن بفعل وانفعال .

وأصناف التغير الذي يكون به نوع نوع من أنواع الامتزاج هو إمّا طبخ وإمّا عفونة (ورقة ١٥١ ب) أو غير ذلك من الأنواع المعدودة في الرابعة من الآثار العلوية (٤) . وهذه كلها تتم بالحرارة الطبيعية (٥) فهي في جسم طبيعي ضرورة فان الحرارة مما تفارق . وليست تلك الحرارة في أحد الاسطقسات لأنها إن كانت فيه فهو يحتاج ضرورة الى أن يتحرك هو والاسطقس الآخر في المكان حتى تلاقيا فإن اللقاء يتقدم الامتزاج . فان كان المحرك لهما أو لأحدهما لم يحرك لأجل الامتزاج فهو امتزاج بالعرض .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

---

(١) قارن أرسطو : Arist : De Gen. et Cor, I. 5. 322 a 32 ؛ وبيّن ابن باجة في الآثار ورقة ٦٨ ب : « وكان كل مركب فمن بسائط أربعة ، وكان تركيبها على طريق التجاوز وقد يكون على طريق المزج » .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 6. 322 b 10 .

(٣) أيضاً I. 10. 328 b 15 — 25 .

(٤) أيضاً Arist. Meteo. IV. 2. 379 b 12; 25 — 30; 380 a 5, 11 sq .

(٥) ايضاً Meteo. IV. 2. 379 b 8 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net